

جذور المعرفة والتعليم في بلاد الرافدين (٢٨٠٠-٥٣٩ ق.م)

The Roots of Knowledge and Education in Mesopotamia (2800-539 B.C)

Prof. Dr. Hussein Ahmed Salman

أ.د.حسين احمد سلمان

الجامعة المستنصرية/كلية التربية

Al-Mustansiriyah University / College of Education

Husseinalbawy55@gmail.com

ملخص

لقد اثبتت دراسات الباحثين بما لا يدع مجالاً للشك أن اول حضارة بشرية ناضجة انبثقت في ربوع بلاد الرافدين منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد شملت عطاءاتها الواجه المختلفة لاساليب العيش من اقتصادية واجتماعية وفكرية وعلمية وفنية، ومن ابرزها ما تحقق من نضوج فكري تكمل بظهور البدايات الاولى للكتابة في حدود (٣٥٠٠) قبل الميلاد، والتي كانت بحق محصلة حضارية كبرى في تأريخ الانسان، بينما توصل قدماء المصريين الى نظام الكتابة بعد قرنين عن ذلك التأريخ.

كلمات مفتاحية: المدرسة، المعلم، القلم، اللوح المسماري، الطالب.

Abstract

In their documentation of school tablets, the ancient Sumerians approached writing with an educational mindset, reflecting their methods of teaching and instruction. This is evident in some of the earliest written texts from the city of Uruk. By the early third millennium BCE, schools had begun to spread throughout Sumer, and learning to write became an established practice taught in a systematic manner. These texts represented the earliest recorded expressions of

human thought, encompassing various forms of knowledge and expertise, whether scientific, professional, or practical.

Keywords: School, Teacher, Stylus, Cuneiform Tablet, Student.

جذور المعرفة والتعليم في بلاد الرافدين

(٢٨٠٠-٥٣٩ ق.م)

المقدمة:

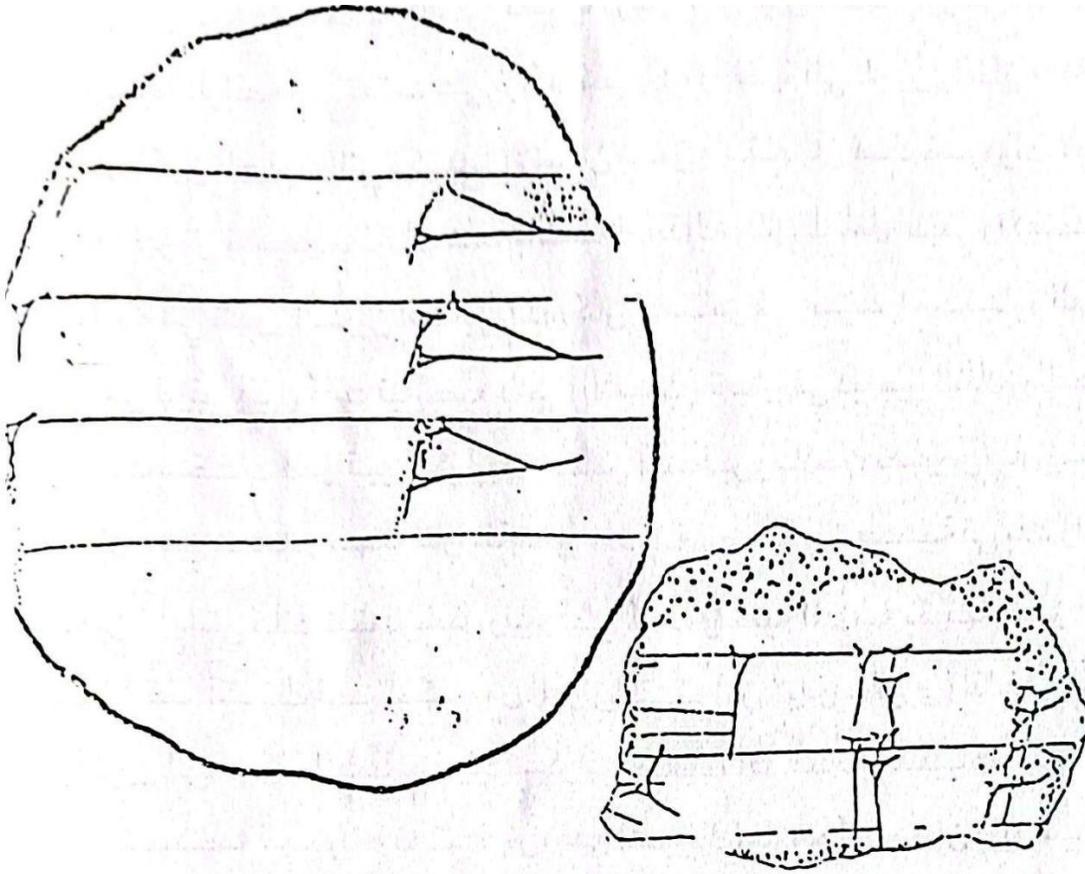
لقد اثبتت دراسات الباحثين بما لا يدع مجالاً للشك أن اول حضارة بشرية ناضجة انبثقت في ربوع بلاد الرافدين منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد شملت عطاءاتها الواجهة المختلفة لاساليب العيش من اقتصادية واجتماعية وفكرية وعلمية وفنية، ومن ابرزها ما تحقق من نضوج فكري تكلم بظهور البدايات الاولى للكتابة في حدود (٣٥٠٠) قبل الميلاد، والتي كانت بحق محصلة حضارية كبرى في تأريخ الانسان، بينما توصل قدماء المصريين الى نظام الكتابة بعد قرنين عن ذلك التأريخ (فرانكفورت، ١٩٦٥، الصفحات ١٤٥-١٤٧)، بينما في بلاد اليونان فلم تعرف الكتابة الا في القرن السابع قبل الميلاد، وفي شمال أوروبا في حدود القرن الأول قبل الميلاد (سليمان، ١٩٨٣، صفحة ٢٢٢)، وكانت أولى النصوص الكتابية المعروفة حتى الان باللغة السومرية لغة سكان العراق الاصليين اكتشفت في مدينة الوركاء (بصمه جي، ١٩٦٠، صفحة ٣)، وعملت اكثر من الف لوح صغير من الطين نقشت بالكتابة الصورية، تضمنت اغلبها اجزاء من مدونات اقتصادية ودينية، وبينها ايضاً الواح شملت على جداول للكلمات لاغراض الدرس والتمرين، وهذه تشير الى بدايات التعليم في العالم، وطور العراقيون بعد ذلك كتابتهم الى الطريقة الرمزية ليتسنى لهم تدوين الافكار والاشياء المعنوية، ومن ثم توصلوا الى المرحلة الصوتية في استخدام الخط المسماوي، وذلك باعطاء اصوات للعلامات تتناسب مع لغتهم مجردة عن مدلولاتها الصورية والرمزية، وكان ذلك في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. وان الخط المسماري الذي ابتكره السومريون لتدوين لغتهم اقتبسته اقوام وشعوب الشرق الادنى لتدوين لغاتهم، وفي مقدمتهم الجزيريون الذين عاشوا الى جنب السومريين، ومن اشهرهم الاكديون والبابليون والاشوريون، كما اقتبس الخط المسماري، العيلاميون والحثيون والهوريون والميتانيون والاوراتيون والكاشيون والفرس الاخمينيون (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٩٣؛ باقر، علي، و سليمان، ١٩٨٠، صفحة ١٦١؛ ساكز، ١٩٧٩، صفحة ٢١٢؛ لويد، ١٩٤٣، صفحة ١٦؛ Walter, 1966, pp. 62-

64)

جذور المعرفة والتعليم في بلاد الرافدين

المادة الكتابية:

استخدم العراقيون القدامى مادة الطين الطرى على شكل الواح (رقم طين) كقرطاس للتدوين عليها، وسمى السومريون رقيم الكتابة (دب dub) وتقابلها بالاكديّة (طبو Tuppu)، وكانت بأشكال واحجام مختلفة تبعاً للفترات التاريخية القديمة، واستخدموا في الكتابة قلماً من القصب ذات نهاية مثلثة ومدببة سمي (كي- دب- سار GI- SAR) (كريم، ١٩٥٦، صفحة ٤٣؛ علي، ١٩٧٩، صفحة ٤٠)، هذا ومن الجدير بالإشارة أن العراقيين استخدموا في عصور لاحقة الى جانب الواح الطين للتدوين عليها الاحجار بأنواعها للكتابات التذكارية، واحياناً العاج كما في العصر الاشوري الحديث وبعض المعادن كالنحاس، والبرونز والفضة والذهب ولعلمهم استخدموا مادة الخشب للكتابة، كما جاء من أحد النصوص من العهد الاشوري الحديث، ومن عهد الملك سرجون الثاني الاشوري نجد هنا أول ذكر للكتابة على الجلود. وقد كانت أولى اللوحات الكتابية التعليمية في العراق القديم ذات شكل بيضوي أو دائري تقريباً (شكل ١).



شكل (١)

نماذج من الرقم القرصية المعد لتدريب الطلاب. (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٨٨)

وكان القوم في تدوينهم للالواح المدرسية يفكرون بعقلية وطرق التعليم والتدريس كما يتبين لنا من بعض النصوص الكتابية الوركائية الأولى، ثم أخذت المدارس تنتشر في أرجاء بلاد سومر منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد واصبح تعلم الكتابة امرأ واقعاً تدرس بشكل منتظم، وجدت تلك النصوص الترجمة الاولى لفكر الانسان بما تحويه من معارف وخبره علمية مهنية كانت أو تطبيقية، وكان العراقيون القدماء أول من توصل الى هذه التجربة الرائعة التي تعتمد على تراكم الخبرات والنظرة الى الكون والخلق والافكار. ولا بد أن تكون الحاجة التي فكر بها الانسان بعمق واقتنع بأن هناك ضرورات لا يمكن تجاهلها لغرض تسجيل معلومات هامة بالنسبة له انذاك، وكان للعامل الديني والاقتصادي الدور المهم في ظهور التدوين الكتابي الذي كان الاساس في استقرار حضارة العراق القديم في الوقت الذي كانت فيه جميع الامم (الشعوب) تعيش في دياجير الظلام والتخلف. وقد كانت مخلفات العراقيين الكتابية تتضمن اساطير وملاحم ونصوص فال وسحر ورسائل، وهي مصادر مهمه لدراسة تطور المعرفة العلمية والتعليمية في بلاد وادي الرافدين (ديورانت، ١٩٦٥، صفحة ١٣). ومن الملاحم التاريخية المهمة في تأريخ العراق القديم ملحمة كلكامش التي يحق أن نسميها اوديسية العراق الخالدة، وقد دونت هذه الملحمة قبل نحو (٤٠٠٠) عام وترجع في حوادثنا الى عهود اقدم. وبطل هذه الملحمة كلكامش خامس ملوك سلالة الوركاء الاولى، وينسب اليه تشييد اسوار مدينة الوركاء. والمرجح أنه حكم في حدود (٢٦٠٠ق.م) اي في الالف الثالث قبل الميلاد، وانه على ما يبدو كان يعاصر مؤسس سلالة اور الاولى (ميس- انبيدا) وقد دونت ملحمة كلكامش على اثني عشر لوحا وعنوانها (هو الذي رأى كل شيء).

المدرسة: ان مخلفات العراقيين الكتابية تعتمد بشكل رئيس على مكانه واهمية المدرسة بكونها مركز العلم والمعرفة كما أكد ذلك احد الحكماء من العراق القديم (من لا يعرف لا يرى) لذا فقد سعى العراقيون الى المعرفة العلمية منذ

وقت مبكر في حياتهم، وقد هدتنا التتقيات الاثرية الى اماكن مخصصة للعلم والمعرفة كمدارس، ففي شروباك (فاره حالياً) موطن (زيو سيدرا) بطل الطوفان السومري جاءت اعداد كبيرة من الالواح المدرسية والمتضمنة علامات مسمارية معدة لغرض استنساخها من قبل الطلبة. فانتشر وازداد عدد الكتاب والنساخ للخط المسماري في بلاد سومر واكد نتيجة لانتشار المدارس، ومن الطريف ذكره أن احصائية جاءت من عهد سلالة أور الثالثة بعدد الكتاب البالغين (١٥٤١) كتاباً موزعين (٦٢٠) كتاباً لمدينة لجش (تلو) و(٣٨٤) كتاباً لمدينة أوما و(٢٠٢) كتاباً لمدينة أو، كما بلغ كتاب مدينة سبار خلال فترة حكم الملك حمورابي حوالي(٩٠) كتاباً (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، الصفحات ٩١-٩٢)، وقد كانت بلاد الرافدين مزدوجة اللغة، فبقت اللغة السومرية الى جانب اختها اللغة الاكدية يتعلمها التلاميذ من خلال المعاجم اللغوية في مدارسهم، حيث بقيت النصوص الدينية تدون بها حتى عام (٨٠) ميلادية (مرغريت، ١٩٨٠، الصفحات ١٩-٢٠). لذا فقد شغف بها ملوك العراق القدماء، فيروى لنا الملك الاشوري آشور بانبيال (بأنه فهم وتعلم الالواح الصعبة بلغتها السومرية القديمة) (وولي، ١٩٤٨، صفحة ٣١)، لذلك فإن تعلم هذه اللغة كان يعني الرجوع الى المعاجم والقواميس اللغوية، ويحتم على التلميذ والكاتب والناسخ الالمام والاحاطة بقواعدها، وهذا يتطلب اعلى درجات الوعي الثقافي، كما يعبر عن ذلك المثل السومري (أن فن الكتابة هو أم الاساتذة وابو الخطباء) (الفؤادي، ١٩٧٩، الصفحات ٨٩-٩٠).

وقد عاش السومريون حياة منظمة بواسطة الكتابة، حيث شملت الوثائق المكتوبة ادارة الشؤون الاقتصادية للمجتمعات في بداية عهدها (فرانكفورت، ١٩٦٥، صفحة ٦٤؛ Soviet Scholar، ١٩٦٩، صفحة ٧٤). ومن اجل الالمام باللغة السومرية وقواعدها وتنظيم المجتمع اقتصادياً انشأت مؤسسات تعليمية وثقافية في بلاد سومر. وعرفت المدرسة باسم (اي دبا É-dubba) اي بيت الالواح، وسمي المتعلم (التلميذ) (دمو اي- دبا Duma dubba) اي ابن المدرسة، ودع المدرس (دب-سار DUB-SAR) ومدير المدرسة (أوميا Umid) وقد نجد اختصاصات مختلفة في المدارس السومرية في ضوء المناهج التدريسية، فهناك مدرس اللغة السومرية (دب-سار-كي-ان-جي DUB-SAR-KI-EN-GI) ومدرس العلوم الهندسية (دب-سار-اشاك DUB-SAR ASHAG) ومدرس الرياضيات (دب-سبار-نيشات DUB-SAR NISHIT) ومدرس فن الرسم والطب والفلك والشعر والادب ومن أجل أن يأخذ التعليم دوره الصحيح ومكانته في المجتمع السومري.

الادارة المدرسية: أعتمد العراقيون القدامى نظاماً خاصاً للمدرسة وادارتها والطريقة التي كانت تديرها، ففيما يتعلق بالادارة والهيئة التدريسية كان رئيس المدرسة اوميا (Umia) ابو المدرسة ومساعد الاستاذ (الاخ الكبير) (علي، ١٩٧٩، صفحة ٤٤)، وهناك لجنة انضباط المدرسة مسؤوليتها الحفاظ على النظام المدرسي، ويدعى مسؤولها (الرجل الموكل بالسوط). ان نظام التعليم في العراق القديم لم يكن الزامياً أو عاماً وانما كان التعليم حصراً على

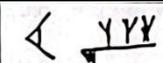
ابناء الطبقات الميسورة لقاء اجور محددة بينما حرم ابناء الطبقات الفقيرة من هذه الفرصة. ويبدو ان ابناء الطبقات الغنية كانوا يدخلون المدارس ليتخرجوا منها دون غيرهم ويتولون الوظائف الرسمية المرموقة والكتابية. وان هذا السباق يشير الى ما توصل اليه الاستاذ نيقولا شنايدر من خلال دراسته لالاف النصوص الكتابية المنشورة ذات المواضيع الاقتصادية والادارية والتي يرجع زمنها الى نحو (٢٠٠٠ ق.م)، فاحصى لها اسم خمسمائة شخص دونوا اسمائهم في تلك النصوص على انهم كتبة وتبين له من اسماء ابائهم انهم كانوا من طبقة الحكام ووجهاء المدينة ومن السفراء والمشرفين على الاعمال، ومن الكتبة الموكلين بأدارة دور السجلات والمحاسبين.

وهكذا حصرت الوظائف بطبقات معينة، وكان الهدف من دخولهم المدرسة هو اعداد ملاكات متخصصة او ما يعرف بالتدريب المهني (كريم، من الواح سومر، ١٩٥٦، الصفحات ٤٦-٤٧؛ كريم، السومريون، ١٩٧٣، صفحة ٣٣١؛ ساكز، ١٩٧٩، صفحة ٢٩٣؛ علي، ١٩٧٩، صفحة ٤٣). كما يبدو أن هناك مدارس عليا تدعى بيت الحكمة بيت مومي (Bitmumi) (كريم، السومريون، ١٩٧٣، الصفحات ٤٧-٤٨؛ باقر، علي، و سليمان، ١٩٨٠، الصفحات ١٦٣-١٦٤؛ سليمان، ١٩٨٣، صفحة ٣٢٢)، لقد تفاخر الملوك العراقيون القدامى في تشييد المدارس ودور العلم والمعرفة فشولكي (٢٠٩٥-٢٠٤٧ ق.م) ابن اور- نمو (٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م) مؤسس سلالة اور الثالثة يعبر عن فرحته لتشييد مدرستين احدهما في مدينة اور والاخرى في مدينة نفر، ويشير كيف انه دفع احد ابنائه الى دراسة متخصصة ليصبح كاتباً، وكيف ان شولكي تعلم في المدرسة فن الكتابة والحساب (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٨٩)، ولصعوبة الكتابة المسمارية في التعلم مقارنة مع الكتابات الابدجية، اضطر الكتبة القدامى إلى استخدام علامات ومصطلحات تتفق عليها توضع قبل أو بعد الاسماء او الاماكن للدلالة على ماهيتها وصفها ، فعلامة النجمة كانت تسبق اسماء الالهة وعلامة الارض كي(Ki) توضع بعد اسم كل مدينة وعلامة أد(id) تسبق اسماء الانهار (سليمان ، ١٩٨٣)، وهكذا؟..... وقد كانت دور العلم والمعرفة في بداية حياتها ملحقة بالمعابد ولكن فيما بعد اصبحت لها كيان مستقل كما دلت على ذلك التنقيبات الاثرية وهذا لا يلغي استمرار تدريب الطلبة الصغار على الكتابة في البيوت الخاصة والمعابد، كما في مدينة اور حيث كانت بعض اقسام معابد الالهة ننكال والاله وننا(سن) للتعلم (كريم، ١٩٥٦، صفحة ٤٣؛ علي، ١٩٧٩، صفحة ٤٤). ومع بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وعلى ضوء النصوص المسمارية المدرسية المكتشفة في بعض الوحدات البنائية التي على ما يبدو كانت مدارس، ولكنها لا تختلف كثيراً عن طرز البيوت السكنية سوى احتوائها النصوص المدرسية (ساكز، عظمة، بابل، ١٩٧٩، صفحة ٢٦٣). ومن أجل الارتقاء بالتعليم واعطائه طابعاً علمياً فقد أوكلت الى الالهة، واصبحت كل المعارف ودور العلم تحت اشراف الاله انكي اله المياه والاله نابو اله الحكمة والمعرفة ابن الاله مردوخ وهو رب وسيد فنون الكتابة وحامي المدرسة، والذي يمسك بالقلم المقدس ويحمل الرقيم الخاص بالمراسيم الالهية، كما كانت الالهة نيسابا مشرفة على التدوين ومعرفة

الكتابة. وقد كانت مكانة التعليم تركز على انه هو الوسيلة العلمية التي يمكن بواسطتها نقل ميراث المعارف والتجارب والعلوم الى الاجيال المتعاقبة، وقد شاعت العلوم والمعارف بشيوع المدارس، وتوسعت المعرفة بالتدوين والكتابة، وكان معلوموها في بداية الامر من الكهنة، ومن نصائح حكماء بلاد الرافدين بهذا الخصوص (يابني تقبل تعاليمي) و (يابني اذا ضربتك فلا تموت) (الجادر، ١٩٨٦، الصفحات ٤٢-٤٧؛ الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٨٤)، ويضم المعبد بالاضافة الى المدرسة خزانة للكتب المدرسية، ومخزن يحوي على مدونات للرقى والكهانة والفأل والنصوص الدينية والسحرية، بالاضافة الى مذكرات اقتصادية وادارية ومفردات لغوية لغرض الدرس والتمرين. وقد تطورت الوسائل التعليمية المختلفة واصبحت الكتابة والعلوم تدرس تدریساً منتظماً في شروباك (فارة حالياً) القديمة من خلال الكتب المدرسية التي وجدت فيها وتؤرخ الى (٢٥٠٠ ق.م)، وتضم جداول باسماء الالهة والحيوانات والنباتات والاحجار (عواد، ١٩٤٨، صفحة ٤٢).

وقد تم التمييز من خلال الخط ان هناك كتبة متميزون (متقدمون) وكتبة مبتدئون، لذا يمكن القول ان عدد دور العلم والمعرفة قد ازدهرت في العراق القديم لغزارة ما وصل الينا من الواح الطين التي دونت من قبل الطلبة كواجبات مدرسية، تتراوح خطوطها بين المبتدئ والمتقدم في الكتابة. وقد كانت المدارس العراقية القديمة مراكز للتأليف والابداع الى جانب التعليم ففيها وضعت شرح العلامات المسمارية ومرافقاتها في اللغتين البابلية والسومرية بهيئة جداول، قوام الجدول الواحد ثلاثة حقول الحقل الوسطي يحوي العلامة السومرية والحقل الشمالي من الجدول يحوي لفظها السومري، والحقل في الجهة اليمنى يحوي لفظ العلامة البابلي (شكل ٢) (كريم، السومريون، ١٩٧٣، الصفحات ٣٢٩-٣٣٤؛ سليمان، ١٩٨٣، صفحة ٢٢٤).

شكل (٢)

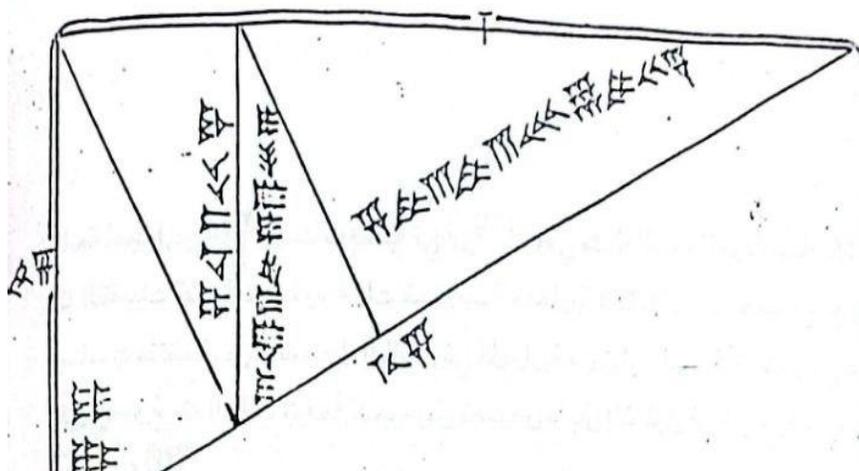
اللفظ السومري	العلامة السومرية	اللفظ الاكدي	المعنى العربي
IL- ar		ti- il-pa- nu	عصا الرماية
ta - al		ru - up - sum	عرض
na- gá		e - si - tum	هاون
nin - da		mi- i - rum	ثور

ولم يقتصر التعليم على الذكور دون الإناث حيث وردت في النصوص المسمارية أسماء لكاتبات وناسخات منهن لقبن (فن-دب-سار) اي الكاتبة، وفي مدينة ماري (تل الحريري حالياً) من العهد البابلي القديم، وردت أسماء تسعة كاتبات لقصر الملك، وهناك كاتبة متخصصة من عهد اشور بانينيال. اما الكاهنات العليا الناديتوم فقد كن كاتبات ايضاً ومنهن (انخيدونا) ابنة الملك سرجون الاكدي وكاهنة الاله القمر سن (ننا) (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٩١).

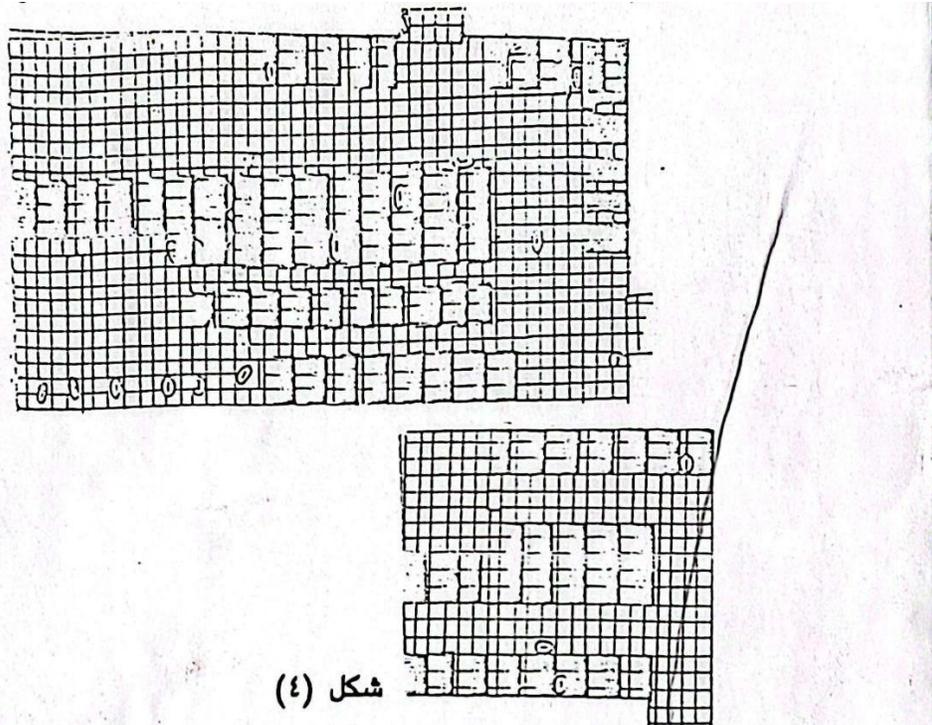
وقد كان اللوح الطيني المدرسي ذو خصوصية معينة فيتكون من كتلة طينية معمولة بشكل دائري او قرصي غير منتظم، مسطح الوجه وقفاه محدب، وقد أختير بهذا الشكل لسهولة عملية وبساطة مسكه، ويحوي على اربعة سطور، اثنان يدونها المعلم والاثنان الباقيان يقوم المتدرب بتكرار السطرين (شكل ١)، ويستخدم شظية من الحجر او الخشب لمحو ماكتبه خاطئاً أو طمس العلامة المسمارية الخاطئة بابهامه ثم كتابة العلامة الصحيحة مكانها لطراوة مادة الطين الكتابية. حيث وردت في كثير من النصوص المدرسية اخطاء طلابية لحدثة عهدهم في الاستنساخ (علي، ١٩٧٩، صفحة ٤١). ويبدو ان بعض البيوت استخدمت كاماكن للتعليم، ومنها البيت المكتشف في مدينة نمر والذي يحوي جداول بالالفاظ المترادفة وجدول الضرب وقوائم جغرافية وجداول باسما الملوك ونصوص فلكية وطبية (روفائيل، ١٩٥٥، صفحة ٢٠). وبيت في مدينة بورسيبا واماكن في مدينة الوركاء حيث كانت النصوص في مدارس تابعة لمعبد المدينة (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٩٠). ووحدات بنائية في مدينة أور (Woolley, 1931, p. 365; Woolley & Mallowan, 1976, p. 136)، وفي مدينة العلم والمعرفة مدينة سبار كشفت لنا التتقيات الاثرية عن مدرسة ذات خصوصية معمارية لاحتوائها على صفوف مع رواق وساحات منتظمة وغرف لتسجيل الطلبة، وفي كل زاوية من زوايا الساحة صندوق في داخله طين ليصوغ منه الطلاب الواحاً كتابية ومن نصوص مدينة سبار (المتفوق في العلم يكون ساطعاً كالشمس) (Meissner, 1925, pp. 326-327). كما تميزت مدينة كيش بمخلفاتها المدرسية من نصوص ووحدات بنائية (Langdon, 1924, p. 61).

اما المعهد العلمي شادوبم (تل حرمل حالياً) فهو اقدم معهد علمي في العالم ومركزاً ادارياً لمملكة اشنونا منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ما تؤكد ذلك الوثائق المكتشفة فيه التي قدمت عطاء ثراً في شتي الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وخاصة العلمية والفنية جسدت الواقع المزدهر للمجتمع العراقي القديم قبل ما يقرب من أربعة الالف سنة مضت، ويشير التخطيط المعماري لهذه المدينة انها ذات خصوصية فتحوي اربعة معاهد وملاحق ادارية رسمية للمعهد العلمي وبيوت لسكن الطلاب واساتذة المعهد، ومرافق خاصة لاغراض التدريس، وتدل النصوص المكتشفة في هذا المعهد ان العراقيين القدماء توصلوا الى حل معادلات الدرجة الثانية

والثالثة، وهي نفس النظرية المنسوبة الى الرياضي اليوناني اقليدس من بداية القرن الثالث الميلادي، ولكن علماء الرياضيات في العراق القديم سبقوا هذه الرياضي بسبعة عشر قرنا من الزمن، كما ينسب الى العراقيين القدماء حل القضية الجبرية ذات المجهولين والمعروفة بنظرية فيثاغورس (شكل ٣)، أي ان علماء الرياضيات في العراق القديم قد سبقوا فيثاغورس بنحو خمسة عشر قرنا (مهدي، ١٩٨٦، الصفحات ٢٣-٢٤، ٢٤-٣٠؛ سعيد، ١٩٨٣، الصفحات ١٤٣-١٤٦).



ويحوي قصر (زمري لم) في ماري على مدرسة مؤلفة من غرفتين (شكل ٤) مزودتين بدكاك من الأجر لصق الجدران او في وسط القاعة تكفي ان يجلس عليها تلميذ أو تلميذان أو اربعة تلاميذ بالاضافة الى احواض فخارية للماء والطين مما يشير الى وجود نظام مدرسي قائم على اساس تعليم صغار القصر على الكتابة على الرقع الطينية (Parrot, 1958, pp. 188-191; حنون، ١٩٧٩، صفحة ٤٣٤).



شكل (٤)

مصاطب لمدرسة من قصر رميرليم في ماري من العصر البابلي القديم

التلاميذ: وتشير النصوص الكتابية الى ان التلميذ كان حريصاً على مدرسته مخافة العقوبة، لان العقاب البدني يستخدم بحرية بسبب اهمال في الواجب البيتي وقلة اجتهاد او ارتداء رداء غير مناسب او سلوك غير متزن داخل وخارج المدرسة ففي حوار يتحدث استاذنا عن ايام مدرسته في نص مسماري جاء فيه :

اين كنت تذهب عندما كنت صغاراً

كنت اذهب الى المدرسة

ماذا كنت تفعل

كنت اقرأ لوحي واتناول غذائي

ومن ثم احضر لوحي الجديد لانتهى من كتابته

وقبيل المساء كانت الواح التمارين تجلب الي

وعندما انصرف من المدرسة كنت أعود الى البيت

وعند دخولي الى البيت كنت اجد ابي جالساً هناك

فأشرح لابي ما يتضمنه لوح تمريني

وبعد أن امثل امام أبي كنت اقول

أنا عطشان اعطوني ماء لاشرب

انا جوعان اعطوني خبزاً لاكل

اغسلوا قدمي وهينوا فراشي

فأني ذاهب لانام

ايضوني مبكراً

لكي لا أتأخر ولا اقتص مني استاذي

وعندما كنت انهض في الصباح

كنت الاقي امي فاقول لها

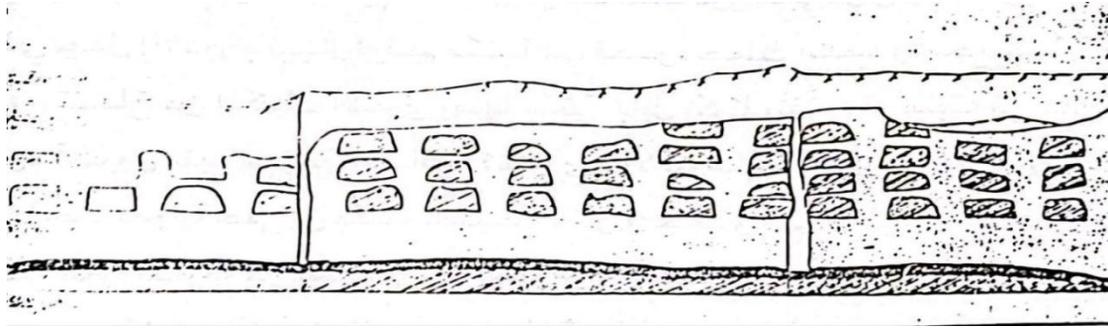
اماه اعطني غذائي لأذهب الى المدرسة

فتعطيني امي رغيفين فانطلق

اجل لقد كانت تعطيني رغيفين فأذهب الى المدرسة

وقد كان بعض الاباء يستقدمون المدرسين الى بيوتهم لغرض اعطاء اولادهم دروساً خصوصية من أجل تذليل المشكلات التي تواجه الابناء خلال الدراسة (علي، ١٩٧٩، الصفحات ٤٦-٤٧؛ كريم، من الواح سومر، ١٩٥٦، الصفحات ٥٦-٥٧؛ عبد الحليم، ١٩٨٣، صفحة ٧٥). وتكمن أهمية ومكانة التعليم في متابعة الاب لابنه وابداء توصياته له عندما يجده متقاسماً، ففي نص سومري يقوم الاب بتوبيخ ابنه محذراً اياه من التسكع في الشوارع وضرورة اطاعة معلمه ووجوب الذهاب الى المدرسة، وينفجر الاب غضباً مذكراً اياه بأنه حرص كل الحرص على تهيئة وتوفير الظروف في سبيل تحصيله العلمي، فلم يكلفه في الحرث أو قيادة ثور الحراثة او جمع الحطب أو حمل حزم القصب والبردي، كما يفعل بعض الابناء اللذين يساعدون ابائهم في الزراعة، وفي الوقت نفسه يتضرع الاب الى الالهة لرعاية وحماية ولده (كريم، السومريون، ١٩٧٣، الصفحات ٣٤٩-٣٥٠). وبما أن التعليم كان يستغرق مدة طويلة لمعرفة العلامات المسمارية كتابة وقراءة المعارف الاخرى. فقد كانت هناك ايام استراحة كما ورد ذلك في نص سومري يقضي التلميذ اربعة وعشرون يوماً من الشهر في المدرسة في حين يتمتع بعطلة امدها ثلاثة ايام سماها التلميذ (ايام الحرية) وثلاثة ايام اخرى هي (ايام اعياد المدرسة) (علي، ١٩٧٩، الصفحات ٤٨-٥٤) بعد أن قطع التعليم في العراق القديم شوطاً كبيراً بدأت حملة لاهياء التراث الفكري والادبي من خلال استنساخ مؤلفات السومريين وتبني فكر الحضارة السومرية من ادب وكتابة ودين، ومن هؤلاء المؤلفين أو النساخ، (نور-ايا) الذي يرتبط اسمه بأحدى قصص الطوفان المعروفة باسم (اتراحيسيس) تعني رب الحكمة و(سين-ليف) الذي يأتي اسمه مع بعض نسخ ملحمة كلكامش في حدود (١٢٥٠ ق.م) (باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، ١٩٧٦، الصفحات ٥٢-٥٤؛ الجادر و فاضل، ١٩٨٧، الصفحات ٩٣-٩٤). ومن اجل اتمام

المعرفة التعليمية والثقافية والعلمية فقد اقيمت وحدات عمارية ذات خصائص فنية من رفوف ودكاك وصناديق مغطاة بالحصير او القير لحفظ الالواح الطينية من الرطوبة وهي على غرار المكتبات الحديثة، ويجمع الباحثون أن اصل نظام المكتبات ودور السجلات يرجع الى حضارة بلاد الرافدين، وتضم هذه المكتبات أدبيات الماضي ومعاجم وقوانين واساطير، مع بطاقة تعريفية بعنوان التأليف الادبي او العلمي أو اللغوي أو الفلكي أو الرياضي أو الطبي، وكان الاله(خاني)مخصصاً لحماية المكتبات وممثله مدير الارشيف(Pisan dubba) ومن المكتبات الشهيرة في العراق القديم مكتبة مدينة نمر، وتضم (٥٣.٠٠٠) الف لوح طيني، وتختلف في الحجم من(٠.٢- ٠.٥٠) (كريم، من الواح سومر، ١٩٥٦، الصفحات ٥٦-٥٧؛ ساكز، ١٩٧٩، صفحة ٢١٢؛ ليو، ١٩٨١، الصفحات ٣٠٨-٣٠٩؛ Hilprecht, 1907, p. 55). تعود هذه المكتبة الى عهد سلالة اور الثالثة (٢١١٢- ٢٠٠٤ ق.م) وتضم حوالي (٢٠٠٠) الف لوح طيني يعود لفترة تسبق عهد سرجون الاكدي (٢٣٧١- ٢٣١٦ ق.م)، ومكتبة سبار الفنية بمحتوياتها او النادرة في الحجم في فنها المعماري، فقد استخدم اللبن واغصان الاشجار والقصب في تشييد رفوف هذه المكتبة (شكل ٥).



شكل (٥)

رفوف مكتبة سبار - (الجادر و فاضل، ١٩٨٧)

وأحدى غرف المعبد المطلة على القاعة الرئيسية يرحح استعمالها كقاعة مطالعة، والمكتبة مشيدة على هيئة رفوف افقية تشمل ثلاثة جدران في الغرف، والرفوف مقسمة الى قواطع عمودية، عمق كل رف(٧٠سم) وبلغ مجموع الرفوف(٥٦) رفا، وان الارضية مرصوفة بالطابوق ومسيعة بالقار، ويحوي على كتب الفلك والرياضيات والتاريخ والجغرافية وعلوم اللغة والقوانين والاساطير، ويظن انها تعود الى القرن السادس قبل الميلاد حيث شهدت هذه

الفترة انتعاش حركة التدوين ونقل المعارف التراثية، ومكتبة الوركاء التي تمتد تاريخياً حتى الفترة السلوقية (٣٣١-١٢٦ ق.م) (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، الصفحات ٩٥-٩٧).

ومكتبة الملك اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) التي كانت تشغل حيزاً من قصره في نينوى، وتحوي مئات الالاف من اللوح المدونة وقد عرف اشوربانيبال بولعة بالعلوم وحبه للمعرفة فيذكر في سيرته كان يطيب لي ان اقرأ الاحجار المكتوبة في ازمان ما قبل الطوفان مما يدل ان عند الملك ذوق ادبي، وان هذا الذوق الادبي هو الذي جعل اشوربانيبال يقيم مكتبة في قصره حملت اسمه وشجع حركة الجمع والاستساخ من المكتبات الاخرى ومنها مكتبة بابل وكوثا ونفر، وقد سبقه في هذا المضار ملوك آخرون منهم سرجون الثاني الاشوري. الا أن ما قام به اشور بانيبال تميز دون سواء بالشمولية حتى أن مكتبته اصبحت مثار اعجاب واهتمام الباحثين لاحتوائها على شتى فنون المعرفة من علمية وادبية ودينية واقتصادية... وهناك صنف آخر من المكتبات تدعى بيت كنوكي (bit kunukki) ، ولجل الحفاظ على هذا الخزين العلمي جعلت المكتبات تحت حماية الالهة، كما تبين لنا من نصوص اشورية تحمل اللغات على كل من يعبث بمحتوياتها أو من لا يرجعها الى محفظاتها أو يسرقها (Meissner, 1925, pp. 331-332; باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، ١٩٧٦، صفحة ٤٧؛ كوننتيو، ١٩٧٩، صفحة ١٦٧؛ Banks, 1912, pp. 317-318)، ونستنتج من ذلك ان التربية والتعليم كانت لها أولوية في حياة العراقيين القدماء لانها الوسيلة التي تنظم المجتمع وتحفظه، فبجهود العراقيين القدماء تحققت انجازات التقدم العلمي والادبي فانتشر التعليم في كافة انحاء العالم القديم، واصبحت مراكز العلم والمعرفة، مراكز اشعاع حضاري واستقطاب لسكان المناطق المجاورة، وكانت مدارسهم اما جزءاً من المعابد والقصور او وحدات بنائية قائمة بذاتها، وتدرس بها مختلف العلوم، ولم يكن التعليم الزامياً لذا فإن المتعلمين معظمهم من أولاد الميسورين والكهنة والقادة وجامعي الضرائب، وحظ الطلبة الفقراء من العلم والمعرفة فكان ضئيلاً اذا ما كان معدوماً، لانه من الصعوبة توفير المال والوقت، خاصة وان تعليم الكتابة والخط المسماي كان يستغرق وقتاً طويلاً، اضافة الى ذلك كانت الكتابة في العراق القديم مزدوجة اللغة (السومرية والاكديية)، وكان الاباء يتابعون ابناءهم في المدارس والبيت وابداء النصح والارشاد من اجل يصبح ابناءهم أو بناتهم كاتبات أو كتاب في القصر او المعبد ومن المصطلحات الكتابية التي تدل على أهمية التعليم في العراق القديم لاحظ الجدول (شكل ٦) (الجادر و فاضل، ١٩٨٧، صفحة ١٠١).

أي - دب - سار	É -DUB-SAR	مدرسة
دمو أي دب - سار	dumu É DuB-SAR	ابن المدرسة

اوميا	Umia	مدير المدرسة
دب سار - كي ان كي	DUB- SAR KI-EN-GI	مدرس اللغة السومرية
دب سار - اشاك	DUB- SAR ASHAG	مدرس الهندسة
دب سار نشات	DUB- SAR NISHIT	مدرس الرياضيات والحساب
تيسارو	tupsarru	كاتب
فاب تب ساري	Vab Tup Sarri	رئيس كتاب
تب ساروشيرو	tup Sarru Sehru	كاتب صغير
تب سار بيت الي	tup Sar bit ili	كاتب المعبد
تب سار اكلي	tup Sar ekalli	كاتب القصر
تب سار شالي	tup Sar 'Sarri	كاتب الملك
تبار اشارو	tup Sar a's'suru	كاتب الملك الاشوري
بيت مومي	bit mumui	اكاديمية (مدرسة عليا)
كي دب سار	GI DUB- SAR	قصب الكتابة القصبي
نن دب سار	nin dub - sar	كاتبه
بيان دبا	Pisan- dubba	مدير الارشيف
بيت كونكي	bit kunukki	مكتبته
دب	dub	لوح

Abstract

In their documentation of school tablets, the ancient Sumerians approached writing with an educational mindset, reflecting their methods of teaching and instruction. This is evident in some of the earliest written texts from the city of Uruk. By the early third millennium BCE, schools had begun to spread throughout Sumer, and learning to write became an established practice taught in a systematic manner. These texts represented the earliest recorded expressions of human thought, encompassing various forms of knowledge and expertise, whether scientific, professional, or practical.

The ancient Iraqis were pioneers in this remarkable intellectual advancement, which was based on the accumulation of experience and a reflective perspective on the universe, creation, and human ideas. The need for writing likely arose from deep contemplation, as people recognized the necessity of recording important information that could not be ignored. Religious and economic factors played a crucial role in the emergence of writing, which became the foundation for understanding the civilization of ancient Iraq. At a time when many other nations remained in a state of darkness and underdevelopment, Mesopotamia was experiencing significant intellectual and cultural progress.

The written legacy of the ancient Iraqis included myths, epics, divination texts, magical incantations, and letters. These writings serve as essential sources for studying the development of scientific and educational knowledge in the land of Mesopotamia.

المصادر العربية

- باقر، طه، ١٩٧٦، مقدمة في ادب العراق القديم، جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- باقر، طه، وعلي، فاضل عبد الواحد، وسليمان، ١٩٨٠، عامر، تأريخ العراق القديم، ج٢، مطبعة جامعة بغداد.
- بصمه جي، فرج، ١٩٦٠، الوركاء، مطبعة الرابطة، بغداد .
- الجادر، وليد، ١٩٨٦، اهمية دراسة التراث الفكري في حضارة بلاد الرافدين، مجلة افاق عربية، العدد ٧.
- الجادر، وليد، فاضل، وعبد الاله، ١٩٨٧، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، المجلد ١٦، العدد ٣، بغداد.
- حنون، نائل، ١٩٧٩، تل السيب، مجلة سومر، المجلد ٣٥، ج ٢-١.
- ديورانت، ول، ١٩٦٥، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، ج ١، م ١، ط ٣، القاهرة.
- روفائيل، بايو اسحق، ١٩٥٥، مدارس العراق قبل الاسلام، بغداد.
- ساكز، هاري، ١٩٧٩، عظمة بابل ترجمة د. عامر سليمان، الموصل.
- سعيد، مؤيد، ١٩٨٣، العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي القديم، حضارة العراق، ج ٣.
- سليمان، عامر، واخرون، ١٩٨٣، جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التأريخ، بغداد، .
- عبد الحلیم، نبيهه محمد، ١٩٨٣، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف الاسكندرية.
- علي، فاضل عبد الواحد، ١٩٧٩، كتبوا على الطين، مجلة كلية الاداب، العدد ٢٧، بغداد.
- عواد، كوركيس، ١٩٤٨، خزائن الكتب القديمة في العراق، بغداد.
- فرانكفورت، هنري، ١٩٦٥، فجر الحضارة في الشرق الادنى، ترجمة ميخائيل خوري، الطبعة الثانية، بيروت- نيويورك.
- الفؤادي، عبد الهادي، ١٩٧٩، النصوص المدرسية القرصية الشكل، القسم الاول، بغداد .
- كريم، صموئيل نوح، ١٩٧٣، السومريون، ترجمة د. فيصل الوائلي، الكويت.
- كريم، صموئيل نوح، ١٩٥٦، من الواح سومر، ترجمة طه باقر، وتقديم د. احمد فخري، بغداد.
- كوننتيو، جورج، ١٩٧٩، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، وبرهان عبد التكريتي، بغداد.
- لويد، سيتون، ١٩٤٣، الرافدان، ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس، بغداد.

- ليو، اوپنهايم، ١٩٨١، بلاد ما بين النهرين ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق بغداد.
- مرغريت، روتن، ١٩٨٠، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، بغداد.
- مهدي، علي محمد، ١٩٨٦، تل حرمل (شادوبم)، التطور الحضري لمدينة بغداد قديماً، بغداد.
- وولي، ليونارد، ١٩٤٨، وادي الرافدين معهد الحضارة، ترجمة أحمد عبدالباقي، مصر.

المصادر الاجنبية

1. Banks, J., 1912, Bismya or the lost city of Adad, Chicago, .
2. Hilprecht, H., 1907, Bet Temple, Zu, Nippur, Leipzig, 1907 .
3. Langdon, S., 1924, Excavation at kish, Paris, .
4. Meissner, B., 1925, Babylonian and Assyrian, vol.1.2, Heideberg,.
5. Parrot, A., 1958, Iepalais mission Archeologique, Mari, vol. II, Paris,.
6. Soviet Scholar., 1969, Collection of Studies, Ancient Mesopotimia, Mescow, .
7. Woolley, L., 1931, Excavation at UR, The antiquaries Journal, vol. XI,.
8. Woolley, L, and Mallowan, M, E, L., 1976, UR Excavation, the old Baby -Lonian Period, great Britian, .
9. Walter, A., 1966, Mesopotamia the civilization that rose out of clay, America, .

Bibliography

Banks, J. (1912). Bismya or the lost city of Adad,. Chicago.

- Hilprecht, H. (1907). Bet Temple, Zu, Nippur, Leipzig,.
- Langdon, S. (1924). Excavation at kish. Paris.
- Meissner, B. (1925). Babylonian and Assyrian, vol.1.2. Heideberg.
- Parrot, A. (1958). lepalais mission Archeologique, Mari, vol. II,. Paris.
- Soviet Scholar. (1969). Collection of Studies, Ancient Mesopotimnia, . Mescow.
- Walter, A. (1966). Mesopotamia the civilization that rose out of clay. America.
- Woolley, L. (1931). Excavation at UR,The antiquaries. Journal, vol.XI.
- Woolley, L., & Mallowan, M. E. (1976). UR Excavation, the old Baby -Lonian Period. great Britian.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

- ليو، اوپنهايم. (١٩٨١). بلاد ما بين النهرين. ترجمة: فيضي عبد الرزاق سعدي، بغداد.
- روفائيل، بابو اسحق. (١٩٥٥). مدارس العراق قبل الاسلام. بغداد.
- كوننتيو، جورج. (١٩٧٩). الحياة اليومية في بلاد بابل واشور. ترجمة: سليم طه التكريتي، وبرهان عبد التكريتي، بغداد.
- كريم، صموئيل نوح. (١٩٥٦). من الواح سومر. ترجمة: طه باقر، وتقديم د. احمد فخري، بغداد.
- كريم، صموئيل نوح. (١٩٧٣). السومريون. ترجمة: د. فيصل الوائلي، الكويت.
- باقر، طه. (١٩٧٦). مقدمة في ادب العراق القديم. بغداد: جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة.
- باقر، طه، فاضل عبد الواحد علي، و عامر سليمان. (١٩٨٠). تاريخ العراق القديم، ج٢. مطبعة جامعة بغداد.
- مهدي، علي محمد. (١٩٨٦). تل حرم (شادوبم)، التطور الحضري لمدينة بغداد قديماً. بغداد.
- بصمه جي، فرج. (١٩٦٠). الوركاء. بغداد: مطبعة الرابطة.
- عواد، كوركيس. (١٩٤٨). خزائن الكتب القديمة في العراق. بغداد.
- وولي، ليونارد. (١٩٤٨). وادي الرافدين معهد الحضارة. ترجمة: أحمد عبدالباقي، مصر.
- سعيد، مؤيد. (١٩٨٣). العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي القديم، حضارة العراق، ج٣.
- حنون، نائل. (١٩٧٩). تل السيب. مجلة سومر، المجلد ٣٥، ج ١-٢.
- عبد الحلیم، نبيهه محمد. (١٩٨٣). معالم العصر التاريخي في العراق القديم. الاسكندرية: دار المعارف.

- ساكز، هاري. (١٩٧٩). عظمة بابل. ترجمة: سليمان د. عامر ، الموصل.
- فرانكفورت، هنري. (١٩٦٥). فجر الحضارة في الشرق الادنى. بيروت - نيويورك.
- ديورانت، ول. (١٩٦٥). قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، ج ١، م ١، ط ٣، القاهرة.
- الجادر، وليد ، و فاضل، عبد الاله. (١٩٨٧). دور العلم والمعرفة في العراق القديم. بغداد: مجلة المورد، المجلد ١٦، العدد ٣.